مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار العشرون
المجلد (٦) العدد (٣)
٢٠٢٥ (١-٩)

اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح حقيقة ام خرافة؟

باسم عبد الله

باحث عراقي متخصص في دراسة الأديان الإبراهيمية والتاريخ القديم،

معيد، مساعد تدريس، كلية الآداب، جامعة بغداد،

عضو اتحاد الكتاب السويديين، مترجم.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩ أغسطس ٢٠٢٥م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

اللاهوت والناسوت مصطلحان اساسيان في العقيدة المسيحية وهما يشيران الى الطبيعة اللاهوتية ليسوع المسيح من خلال كونه الله المتجسد، هو علم طبيعة الله ووجوده، وهذا ما اطلق عليه "الله الاب" الذي نقل حياته الروحانية في رحم امرأة يهودية من بيت لحم الفلسطينية ليكون انساناً كاملاً دون انفصال او انقسام عن شكله الإلهي، فصار " الله الابن " فلاهوته لم يفارق ناسوته. اي لم يفارق الطبيعة البشرية للمسيح، فهل هذه هي عقيدة المسيح حقاً امام الأدلة التاريخية للعقائد؟ ان سر المسيحية وعقيدة التجسد وطبيعة المسيح اللاهوتية برمتها تتركز في بطن العذراء مريم لوحدها دون غيرها من نساء العالم، هذا المفهوم لم يتحدث عن طبيعتين بعد الإتحاد في بطن العذراء كاتحاد النفس بالجسد، انما وحدة الطبيعة اللاهوتية في الميلاد بشخص المسيح، وحدة الطبيعة في الفداء، اتحاد المشيئة باللاهوت، على ان هذا الاتحاد قد ناقض النبؤة التوراتية ان صح الركون اليها في حمل العذراء بالمسيح، فلم تنطبق نبؤة اشعياء على العذراء مريم " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" في متي : "العذراء ستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع " على انها نبؤة على ولادة المسيح، لكن النبؤة اشارت الى حماية بيت داود، امرأة شابة ستلد طفلاً تدعو اسمه عمانوئيل بمعنى "الله معنا" في زمن الملك آحاز الذي كان يخشى الملك فقح ورزين وقد تمت الهزيمة والموت لهؤلاء الملوك على يد الآشوريين فهذا الطفل كانت ولادته في اواخر عهد آحاز وقد ولد وقتئذٍ. فما علاقة ولادة هذا الطفل المولود سابقاً بولادة يسوع؟ ان التدليس في النص جعل اتحاد اللاهوت في بالناسوت وحدة لاهوتية غير متجانسة، وهذا يضعف الإيمان بطبيعة المسيح اللاهوتية. تُعلّم المسيحية أن ليسوع المسيح طبيعتين مُتمايزتين، لكنهما مُتحدتان: إلهية وبشرية. فهو بحسب مؤتمر نيقية الذي انعقد لتثبيت طبيعة يسوع عام ٣٢٥ ميلادي انه إله كامل وإنسان كامل، وهو مفهوم يُعرف باتحاد الأقانيم الثلاثة الإلهية: الاب، الابن، الروح القدس، وهم بحسب الوصف

الإلهي طبيعة يسوع المسيح ليسوا إلا إله واحد، هذا يعني أن يسوع كان موجوداً منذ الأزل، كابن الله الإلهي، واتخذ أيضًا الطبيعة البشرية من خلال التجسد، مولوداً من مريم العذراء، فهو أزلي مع الله، مساوٍ لله الأب وللروح القدس في الأزلية، وقد قام مؤتمر نيقية بتقليد يسوع المسيح وظائف تخص الخالق، بصفته الكلمة الإلهية، شارك في خلق الكون، فهو كلي القدرة، عليم بكل شيء، حاضر في كل مكان وغير متغير، وقد آمن به المسيحيون كإله معترفين بهويته الإلهية وسلطانه على الكون. اما طبيعته البشرية فقد وُلِد من امرأة، متخذا جسداً بشرياً من عذراء، كان بعيداً عن الاغراءات البشرية وخال تماماً من الخطيئة، فلقد تطهّر في كمال الطبيعة البشرية، حتى تألم ومات على الصليب، اي اختبر الألم الجسدي، ثم بعد موته قام يسوع من بين الاموات وصعد الى السماء غالباً سلطان الموت، بقي ممجداً محتفظاً بطبيعته البشرية. اقرّ مجمع خلقيدون عام ٤٥١ ميلادي العلاقة بين طبيعتي يسوع اللاهوتية والناسوتية انهما متحدتان في شخص واحد دون اختلاط، تغيير او انقسام فيما بينهما، فهذا الاتحاد الاقنومي شكل المعيار الأساس في فهم وايمان جوهر المسيحية، مع ذلك هما متميزان بحسب الإدراك البشري ويعملان بشكل فريد في العقيدة الإيمانية، فصار يسوع المؤسس الفعلي للإله المتجسد والمخلص في آن واحد. ان الأناجيل تطرقت للشكل البشري ليسوع اذ تعرض للاغراء والتجربة من قبل الشيطان كما ورد في متي الاصحاح الرابع : " أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ " رغم ان القرينة هنا ناقضت اقرار متي بخضوع يسوع للتجربة، ففي رسالة يعقوب الاولى " ان الله غير مُجَرّب بالشرور " فلو صحت الوهية يسوع لم يجربه الشيطان لان الله لا يجرّبه احد. اكّد يوحنا في انجيله بأن " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله " [1] تستعمل تراجم عديدة تعبيراً مشابهاً كترجمة العالم الجديد " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الهاً " اية ترجمة تتفق مع القرينة؟ ففي الاصحاح نفسه يقول النص في يوحنا "الله لم يره احد قط " فالنص يشير الى عبارة " عند الله " فهل يمكن لأحد ان يكون عند شخص وفي الوقت نفسه يكون هو ذلك الشخص نفسه؟ تفسر نصوص عديدة لترجمة ما يفيد معنى الألوهية للمسيح " الذي هو [يسوع المسيح] صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فأنه فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الارض" [2] فهو الله الإبن ليس بمخلوق بل الابن الازلي "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا [3] لقد كتب يوحنا النصوص التي توحي بمعنى الألوهية ليسوع المسيح وقد درج على تلك النصوص فيما بعد الرسول بولس فهناك العديد من التشبيهات التي توحي بمعنى الألوهية، لكن هناك العديد من الرسائل التي تفصل يسوع المسيح عن الذات الإلهية وتجعله الخاضع للمشيئة الإلهية. ان النصوص التي مجدت يسوع المسيح وجعلته بمرتبة الألوهية قد انتجت عقيدة الثالوث ومنها تمت صياغة التجسد، التي اصبح فيها فادياً لخطيئة الجنس البشري في آدم، ففي اللاهوت المسيحي ينظر الى المسيح على انه آدم الثاني اي يرمز الى بداية جديدة للجنس البشري الموسوم بلا خطيئة. هو الكفارة التي يبدأ بها الجنس البشري في علاقة جديدة مع الإله السماوي، فهذا الاتجاه في العقيدة التأكيد على دوره كشخصية محورية في تاريخ البشرية، المخلص والفادي. هذا باختصار مجمل العقيدة المسيحية التي يعتنقها ما يزيد عن ثلث البشرية في حاضر ايامنا، لكن علينا ان

نستشرف تاريخ العقائد لنرى تدرج عقيدة التجسد في الحياة الوثنية للبشرية ولتلك التي اعتمدت على سلالة تاريخ المعتقدات الخرافية قبل زج العقيدة اللاهوتية وجعلها اكثر منطقية للعقل لكنها تبقى في المحور ذاته نتاج تقاليد ارثها الوثني. قام التعليم الكنائسي الارثوذكسي بتطوير عقيدة التجسد لتتخذ شكلاً منطقياً بهدف التأثير على العقول ودفعها للإيمان بهذه العقيدة التي ارتقت من الخطاب الخرافي الى المنطق الجدلي الاستدلالي، بدأً من الوهية يسوع كأبن أزلي الوصف هوية يسوع وطبيعته التجسدية التي اتصلت بعقيدة الفداء التي اسسها الرسول بولس، وعندما سأل يسوع اتباعه " من يقول الناس اني انا "؟ [4] لا يزال السؤال الذي طرحه يسوع حاضراً حتى يومنا هذا، ذلك ان الجميع كانت اجاباتهم بحسب فهمهم وقتئذٍ مرتبكة وقلقة لكنهم جميعاً لم ينظروا ليسوع إلا كأنسان عادي. منذ القرن الاول حتى يومنا هذا قدم الكتاب المقدس معايير مختلفة في مجمع نيقية وخلقيدونيا، فهذه المعايير اتخذت مع الزمن اجابات مختلفة : " الكلمة المتجسدة " ، " الرب المخلص " ، " ابن الانسان " ، " صورة الله " [5] فهذا الالتباس والغموض حول هوية المسيح بالغ الأهمية فليس هناك ماهو اهم من معرفة من هو يسوع وهذا اهم سؤال ممكن طرحه في المجتمعات المسيحية. الادلة الكتابية على ألوهية الابن كاملة ومتوفرة بغزارة في النصوص الانجيلية. لقد استفاض كتبة الاناجيل بزج يسوع في الذات الإلهية بعد عصر الآباء، "يتقبل العبادة" [6] حتى استحالت هذه العقيدة فصل ذات يسوع عن الذات الإلهية. اختتم يوحنا في انجيله التجسد: " بمثابة قوة خفية ازلية خالدة للبشرية ترفع البشر الى حياة البنوة الإلهية كتحقيق للمصير البشري متخذاً الطبيعة الناسوتية للمسيح لتكون اداة للكشف عن ذاته... كاشفاً عن المجد الإلهي في حياته الشخصية والإلهية وفق مضمون حياة بشرية تاريخية " [7] ان المتتبع للتاريخ القديم في معتقداته الوثنية، سيجد شمولية مختلف الديانات والنظم العقائدية القديمة التعددية الآلهة وقد حملت مفاهيم مختلفة عن الألوهية والعلاقة بين الإلهي والبشر، لقد تضمنت التقاليد الوثنية آلهة تتخذ أشكالاً بشرية او حيوانية بما يظهر معنى " التجسد " لكنها تختلف عن معنى التجسد في المسيحية. لقد ساد الاجماع على وجود يسوع التاريخي الذي عاش في يهودا الرومانية في القرن الأول الميلادي وان صلبه والطقس الاحتفالي التعميد بالماء فهما حقيقتان، لكن "... لا يوجد اجماع لعلماء حول الجوانب المهمة لقصص الأنجيل ربما تم استبدالها بمسيح آخر خارق للطبيعة والإيمان " [8] اثبتت معتقدات التجسد وجودها الضارب في اعماق التاريخ قبل قيام المسيحية كمعتقد وثني حتى اصبحت العقيدة المركزية فلا يكون الانسان مسيحياً ما لم يؤمن بعقيدة تجسد المسيح، هكذا نرى في الديانة البوذية فهي تنكر مفهوم الإله الخالق او اي تجسيد له مع ذلك تُعلّم عقيدة اعادة الميلاد وتؤكد ان الكائنات الحية تولد من جديد بلا نهاية متجسدة في آلهة وانصاف آلهة وبشر واشباح جائعة في دورة سامسارا لا تتوقف الا عند من يصلون الى النيرفانا [9] التحرر النهائي من رغبات الجسد هو الهدف الاسمى في البوذية. الأمر نفسه في الهندوسية يشير التجسد الى عقيدة اعادة الميلاد وفي تقاليدها التوحيدية الى الافاتار [الإله الأعلى على كوكب الارض] يتجسد هذا الكائن الإلهي كما في تجسد الإله فيشنو الذي يعبده كثير من الهدوسيين كإله" [10] فهذا الإله يمثل النزول من الأبدية الى العالم الدنيوي من اللانهائي الى المحدود، وقد انسجم نزول الإله الهندوسي الى العالم الدنيوي تماما كما فعل المسيح " ... لأني قد نزلت

من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني " [11] هل احتوت اليهودية على إله متجسد؟ نعم، " وفقاً للعديد من العلماء المعاصرين كانت العقيدة التوراتية والتلمودية لله مجسمة اذ احتوى التلمود البابلي على قصص عن ظهورات ارضية لله، ايليا، الشيطان [12] كلها تجليات مجسدة اسست لعقيدة التجسد في المسيحية. الإله كريشنا إله الهندوسية عاش في الفترة ٣٢٢٨- ٣١٠٢ قبل الميلاد " نال التكريم الإلهي، كان هذا الإله وغيره من الآلهة " يتجسدون في الغالب كمسيحيين او مخلصين او مسيح او وسطاء ويقال ان عددا منهم ولدوا من عذارى وبعضها يملأ شخصية تلك التي ينسبها الكتاب المقدس الى يسوع المسيح [13] ان تاريخ المعتقدات على مدى تاريخه الطويل كان ينبئ بمجئ المخلصين والآلهة المولودة من عذراء، ان الانظمة الدينية قد مهدت لنبؤات مفادها ان مخلصاً إلهياً سينزل من السماء، كذلك يروي العهد القديم أمثلةً لظهور الله شكلاً تجسدياً لأشخاص مثل إبراهيم ويعقوب وموسى في صورة بشرية. هذه الظهورات، وإن لم تكن تجسيدات كاملة، إلا أنها توحي انبثاق فكرة وعقيدة التجسد في التاريخ الديني، واستعداد الفكر الديني للتفاعل مع البشرية. إن الاساطير التاريخية بين علاقة اللاهوت بالناسوت علاقة معقدة بين الكائنات الإلهية والبشر وهي تشكل المحور الديني في النص بين لاهوت غير مرئي وناسوت ارضي، فهذا التزواج في الخيال الديني جعله مترابط وحتى المشاركة في الصفات اللاهوتية. تُظهر أساطير بلاد ما بين النهرين طيفاً من التفاعلات، بدءاً من استخدام الإله للبشر في خدمتهم، وصولاً الى المنافع المتبادلة للعلاقات بين الطرفين. كما هو الحال في المسيحية، يصبح مفهوم الكائن الإلهي الذي يتخذ شكلاً بشرياً في حالة يسوع المسيح محورياً في الإيمان. يذكر سفر التكوين أن البشر خلقوا على صورة الله، مما يشير إلى وجود صلة بين الله والبشرية والتي تم استكشافها بشكل أكبر في تجسد العهد الجديد، هذه الاستهلال في العلاقة ان جعل اللاهوت الحالة غير المدركة عقلياً تتطور الى ايجاد صفة الإدراك في تاريخ الحالة البشرية وعلاقتها بالتجريدات والتخيلات الظنية السالكة للايمان. ان العديد من الأساطير امتلكت فيها الآلهة أو الكائنات الإلهية قوة متفوقة ويوجد البشر لخدمتهم، غالباً ما يكون هناك ترابط بين البشر والإله. يمكن منح البشر قوى إلهية أو إلهاماً، بينما قد تُظهر الآلهة سمات إنسانية أو تشارك في تجارب إنسانية، وهذا بالضبط ما جعل العلاقة بين اللاهوت والناسوت شكلاً تكميلياً فكرياً اجتماعياً. في الحالة اللاهوتية الناسوتية يلتف الزمان بالمكان حول الكون ولأن الزمن يدور لابد ان ينفصل اللاهوت بشكل مطلق في الزمن ويكون تاريخ معلن للناسوت هذا الزمان والمكان المحدودان في افقهما الكونية لا يتساويا في المرتبة اللاهوتية وان تساويا في المعتقد، لكن في المعتقد كل شي ممكن وان خالف العقل والمنطق كما قال يسوع " انا والأب واحد " [14] فهل هما متساويان في الوحدة اللاهوتية؟ كلا. ذلك ان القدرات الناسوتية قد تقوضت قدراتها من خلال محدودية الجسد وصار النص تبعاً للهدف المشترك بين الناسوت واللاهوت، يستهل يسوع المسيح في اعتراف حاسم لتمييز نفسه الأقل رتبة عن عوالم الألوهية " ابي اعظم مني " [15] ان ايجاد التمييزات بين اللاهوت والناسوت ليست جديدة العهد في تاريخ المسيحية ولا هي جديدة في تاريخ التوراة، بل انها لا تقارن بالأرث المشترك بينهما فهي وحدة فلسفية ودين وثني قديم ضارب في القدم، تتجلى في الاساطير والفلسفة والطقوس الدينية اذ قدمت الاساطير تصورات عن الإله وطبيعته وعلاقته بالعالم

والبشر، وقد خاضت الفلسفة اليونانية لتطور المفاهيم اللاهوتية وتنتقد الاساطير فقدمت تفسيرات اعتمدت على العقل في تفسير الوجود والإله وعلى شكل علاقته الارضية بالبشر، حتى حلت فيما بعد الطقوس الدينية لتفسير الطبيعة الشخصية بين الإله من جهة وبين العبادات الفردية والجماعية من جهة اخرى. لقد كانت الأساطير في بداية التاريخ البشري اهم مصادر اللاهوت والناسوت اذ قدمت قصصاً عن نشأة الكون والإله وعلاقتهما المشتركة كذلك قدّم هيراقليدس مفهوم العلاقة بين العقل والمادة ثم طوّر افلاطون فكرة الافكار او المثل، واعتبرها الجوهر ولهذا اسس افلاطون حلول الجوهر في المادة، ان الجوهر في عالم المثل يحل في الطبيعة البشرية لتنفذ الطبيعة البشرية اوامر الجوهر " الإله " بهذا المعنى يكون حلول اللاهوت في الناسوت من مخترعات المثيولوجيا المسيحية التي ارتبطت بالاساطير والكتاب المقدس. كتب عالم اللاهوت الالماني Rudolf Bultmann ١٨٨٤- ١٩٧٦ استاذ دراسات العهد الجديد في جامعة ماربورك دعا لترك اللاهوت معتمداً على تاريخ الاساطير حتى تشكك بالقيم التاريخية للأناجيل وقد انتقد النصوص الانجيلية " في الاساس مثلت شخصية اسطورية حتى الارض مسرح للاحداث الطبيعية اليومية لنشاط الله وقد تستحوذ على الانسان الارواح الشريرة وقد يغريه الشيطان " [16] ركز اللاهوت المسيحي نهوض الاموات وحدوث القيامة ودخول الإنسان في الخلاص الابدي او اللعنة الابدية، لهذا نرى لاهوت العالم المسيحي في القيامة نفسها ارتبطت بموت المسيح على الصليب لأن من مات ليس مجرد شخص بل الله ذاته متجسداً، اننا امام سيناريو من افلام الرعب " وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ". [17] ان السجلات التاريخية لم تجد اي دليل عليها فهي مجرد خرافة لاهوتية من وحي خيال الشخص المجهول الذي قام بكتابة انجيل متي: "والقرينة تبين هنا فلم يذكر البشير من هم القديسون: كم هم، ولا المدة التي عاشوا بها بعد اقامتهم ولا كيف انتقلوا من الارض فالبحث عن ذلك عبث وليس من ورائه فائدة " [18] ان غياب الاسانيد للنص واختفاء المراجع فيه، هذا تدليس واضح فلم يذكر سند واحد يرجع الى تاريخ حدوث القيامة، اذا اظهرنا استدلال قرينة لا تقبل الشك في ثبات واقعيتها، كيف يمكننا ان نفسر موت اللاهوت على الصليب ان لم تكن هذه واقعة خرافية لا صلة لها بصلب المسيح؟ فهذا تخبط المدلس في اثبات تاريخ الواقعة. من الواضح ان لاهوت المسيح انهار امام ابسط الحقائق التاريخية ان اقحام حياته الشخصية في اللاهوت الإلهي ماهو إلا بدعة دخلت ضمن الاساطير المسيحية التي ران عليها الزمن. اللاهوتيون ارادوا لموت المسيح ان لا يكون موته إلا بمعجزة كونية، فهذا التجسد كان الأساس لقيام عقيدة القالوث، وهو الشكل اللاهوتي الناسوتي الذي انتجه الايمان المسيحي وقد انكر الكثير من علماء اللاهوت عقيدة الثالوث من ابرزهم آريوس Arius قس وزاهد وكاهن مسيحي في القرن الرابع الميلادي، اعتبر الأب هو الإله الوحيد الأزلي وان يسوع لا علاقة له بالألوهية وانه مجرد كائن مخلوق. يرى المتصوفة ان الناسوت هو انفصال اللاهوت عنه، وان على المتصوف ان يجاهد النفس للتخلص من متطلبات الناسوت كي يتجلى امامه اللاهوت فيحل فيه، هي حالة اتحاد روحاني لا انفصال ولا انقسام فيها حتى تستحيل الذات الإلهية في عقل وخيال

المتصوف تماما كما هي حالة اللاهوت وحلوها في ناسوت المسيح، فالحلول والاتحاد بين المعتقدات المسيحية والمتصوفة طريقها زج العقل في متاهات الايمان الذاتي للغيب بلا يقين فيما اتاه العقل من تصورات روحانية. لقد اشار الطوسي ان " الفناء هو فناء رؤيا العبد في افعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك والبقاء بقاء رؤيا العبد بقيام الله له في قيامه لله قبل قيامه لله بالله " [19] فالمتصوف يعيش الحالة بين حلول اللاهوت في ذاته وانهيار ذاته في الإحساس الروحاني في تصدع ذاته وانهيارها واحتراقها امام اللاهوت الذي حل فيه، فهو ناسوت موقوف مع الله بالله لله. لقد اظهرنا ان حالة اللاهوت تحل بالناسوت الفناء بالرضا فتكون الارادة اللاهوتية مصدر البقاء للناسوت تماما كما هي حالة يسوع وانهيار ذاته في حلول اللاهوت بناسوته فهو كما اشار يوحنا : " اَللهُ لَمْ يرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ". [20] فلا يرى في حلول اللاهوت في ذاته إلا حالة روحانية تتجلى في اختفاء وعي الذات للعالم الخارجي. اننا امام فصام عقلي للواقع وليست حالة حقيقية يعيشها العقل المؤمن انها احساس شفاف لا واقع له غير التصافي مع المشاعر الإيمانية فلا لاهوت حل في الذات ولا هي ذات عاشت الحقيقة. هل يمكننا ان نؤمن ان الله في لاهوته حل بناسوت المتصوف وبالتالي نعتبره الله الكامل ببشريته؟ كلا. لأننا امام صفاء روحاني هدفه الاتحاد مع الله، لكن لا يكون الله الشكل الظاهر في الجسد، فالشراكة الإلهية مع الذات لا تجعل الله جزءا منها. " اريد ان تعلموا ان رأس كل رجل هو المسيح واما راس المرأة فهو رجل ورأس المسيح هو الله " [21] هذا النص كتب حوالي 55 ميلادي اي بعد 22 عام من نهاية خدمة يسوع الارضية، الحقيقة هنا تنطبق على العلاقة بين الله ويسوع فهل من كان الله رأسه يكون مساوياً له في الذات الإلهية؟ النصوص تشير تكراراً اظهار الفارق الشاسع بين الله والمسيح " الله اخضع كل شي تحت قدميه ومتى اخضع له الكل فحينئذٍ الابن نفسه ايظا سيخضع للذي اخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل " [22] فهل الابن الخاضع يكون بمرتبة الذي سيخضع له الكل؟ لابد ان يكون هناك طرفان في العلاقة كي تتحق حالة الخاضع والمخضوع له اما كون كلاهما يكونان الشخص نفسه فهذا لم يكن في تفكير الرسول بولس. ان الشخص الذي يطلب فعلا معرفة الحق عن الله لا يبحث عن الله في الطبيعة البشرية ليحل محل كيانها الناسوتي فهذا انقاص للذات الإلهية ذلك ان يسوع ليس الله. تذهب العقيدة المركزية للإيمان بألوهية المسيح للتفسيرات اللاهوتية التي انتجها عقل افلاطون وهيراقليطس عندما نجحت المعتقدات المسيحية بزج المنطق التصوري الجدلي في الايمان المسيحي، اله له وجود، نطق، حياة، فالوجود بالذات هي ذات الله " ناسوت المسيح " وبدون حياة يكون إله ميت، الروح تنبثق من ذاته تسمى الروح القدس، والنطق كذلك نطق المسيح، فبدون النطق لا يكون هناك عقل ونطقه بالكلمة "الكلمة صار بشراً " حتى اكتمل الثالوث الإلهي في المسيح فحل محل الله. اساسيات لا تقوم الذات الإلهية بدونها هكذا تشكل الايمان الثلاثي للمعقدات الكنائسية، إله له وجود، نطق وحياة، لقد تمكنت التسريبات الفلسفية من صناعة المعتقد اللاهوتي ذو الصياغة الناسوتية التي اسست المسيح الإله، لكن ليس بحسب تعاليم الكتاب المقدس. تقر القرينة في يوحنا " في ناموسكم مكتوب ان شهادة رجلين حق انا هو الشاهد عن نفسي ويشهد لي الاب الذي ارسلني " [23] تكلم يسوع بشكل واضح عن نفسه انه فرد منفصل ومتميز عن الله الأب، فلم يكن اللاهوت في ناسوته، هل

تقبل شهادة رجل كرر نفسه مرتين بشهادته؟ كلا، كذلك تورد القرينة في يوحنا : " هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ " [24] التعبير [الإله الحقيقي الوحيد] يشير دائما في كل الترجمات الى الله، فيسوع لم يقدر ان يكون الإله الحقيقي، فلو كان هناك اثنان بالدرجة اللاهوتية نفسها لماذا قدّم الاعتراف بأفضلية الإله وتمييزه عنه؟ مرة ثانية تجيب القرينة في صلاة روحانية خضع فيها المسيح لله، لماذا جعل معرفة الله في نيل الحياة الأبدية تقتصر على الذات الإلهية وليس على ذات المسيح اذا كان المسيح جزءاً من الذات الإلهية. اذا كان يسوع بصفته الله فهل يتكلم بحسب طبيعته البشرية؟ ام كان إنساناً خاضعاً لله؟ فلو صح الأيمان ان يسوع المسيح هو الله الكلي القدرة هو الأب والابن معاً لأمكننا القول ان تلاميذ المسيح على السواء هم في الواقع يسوع المسيح نفسه لان تم تسميتهم كذلك : " نور العالم " انْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ " [25] تورد القرينة خطاب يسوع لتلاميذه : " انَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يتبعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ " [26] فهل يصح ايمان سليم كهذا بما يمكن تفسير النص انه المعنى نفسه في موضع فقرات اخرى؟ كلا. يجب ان نأخذ القرينة دائما بعين الاعتبار وفي اية حالة يمكن ان يتم فهمها بحسب ما قصده الكتاب المقدس عندما يرد التعبير نفسه. الأمر نفسه ينطبق على الايمان بلاهوت المسيح، فهذه عقيدة لم يقدم الكتاب المقدس شكله الايماني والبرهاني فيها و لم يتم في كامل الكتاب المقدس تقديم عقيدة تجعل يسوع المسيح هو الله المتجسد. لو تم التسليم بعقيدة التجسد بما يتبعها من دواعي الايمان بألوهية يسوع لماذا تم نقضها في حديث الله لطلب موسى عندما اراد ان يراه ؟ : «لاَ تَقْدِرُ أَنْ ترَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يرَانِي وَيَعِيشُ» [27] اذا كان التجسد استحالة وجود الله في المكان الذي خاطب فيه موسى، فمن باب اولى ان يظهر الله نفسه هيئة في جبل حوريب لانها مجرد رؤية، لكن القرينة اظهرت استحالة ذلك فلو كان الله حقاً يمكن رؤيته لما امتنع عن اظهار نفسه لموسى. اذا كان الله حتى في الرؤية شكلاً رمزياً قد استحال وقوعها امام موسى فهل ممكن ان يتمثل الله بنفسه بشراً؟ كلا: تجيب القرينة، ان ذلك استحالة، فما من شخص رأي الله في الهيئة ولا في الكيان المتجسد. مات يسوع، فلو كان لاهوته لم يفارق ناسوته طرفة عين لم يمت، ذلك ان الجسد قد فارق اللاهوت، فلا يُستساغ مع قواعد الإيمان السليم ان يدفن اللاهوت مع ناسوت المسيح، لقد كان المسيح في حالة عدم الوعي 3 ايام : " الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يقْدِرُ أَنْ يرَاهُ " [28] فهذا الرسول بولس مؤسس المسيحية الحقيقي رغم وثنيته في تغيير معالمها وزجها في العقائد الوثنية والافكار الفلسفية لكنه ادرك ان ليسوع صفات بشرية لم ترتبط بالألوهية فقد بقي الله متميزاً مفارقاً ليسوع اعلى مرتبة وله عدم الموت لم يره احد من الناس تماماً كما اعلن ذلك في العديد من رسائله. في اية حالة يضعنا الإيمان بألوهية يسوع؟ انه يضعنا في حالة تسيء تمثيل الإله الحقيقي وفهمه ففي اقرار شديد اكد الرسول بولس " يسوع هذا اقامه الله " فهل عنى بولس ان يسوع اقام نفسه؟ كلا على الإطلاق. ان النص اللغوي واضح وحاسم في ان بولس اشار الى شخصين مختلفين في المرتبة: " كان يسوع يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله " ان امرأ كهذا اشار الى طرفين احدهما خاضع ابتدأ بزمن وآخر كان قبل يسوع احتوى الزمن بكيانه، هو ذلك الذي اقام يسوع من

الموت. أن احتياجات الطبيعة البشرية، طعام، شراب، موت، نوم، يتنافى مع الطبيعة اللاهوتية التي لا تحتاج متطلبات الطبيعة البشرية فهذا يعني ان لاهوت المسيح لم يكن مشاركاً تلك الاحتياجات مما يناقض فكرة الإتحاد الكامل بين الطبيعتين. تعارض كذلك عقيدة صلب المسيح طبيعته اللاهوتية، فناسوت يسوع الذي صلب قد افترق عنه لاهوته اثناء الصلب مما جعل عقيدة التجسد تفقد محتواها اللاهوتي، كذلك هذا الانفصال قد فصل اقانيم الثالوث، الاب، الابن، روح القدس عن بعضها وان سلمنا جدلاً ان اللاهوت قد عانى آلام الصلب مع ناسوت المسيح فهذا الإيمان يتعارض مع فكرة الألوهية التي لا تخضع للتغيير، اما كون مريم ''والدة الإله'' فهذا تحول في ازلية الإله وجعله مخلوقاً خاضعاً للزمان والمكان قابلاً للمحدودية، لذا فهوية يسوع الذاتية انحصرت في رحم بشري و لم نجد له مكاناً في تاريخ الألوهية تلك التي نادى بها انبياء العهد القديم.

*** المراجع**

اولاً– المراجع العربية

يوحنا ١: ١

كولوسي الاولى ١٥– ١٧

يوحنا ١: ١٤

مرقس ٨: ٢٧

كولوسي ١: ١٥

مزمور ١١٠:١

يوحنا ٦: ٣٨

المخلصون المصلوبون الستة عشر في العالم، كرسي كرافز Kersey Graves، ترجمة Mstar Mido

صفحة ١١

يوحنا 10 : ٣٠

يوحنا 14 : ٢٨

متي ٢٧ الفقرات ٥١– ٥٣

الكتر الجليل في تفسير الانجيل ص 521 الجزء الاول شرح بشارة متي، دكتور وليم ادي، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، بيروت ١٩٧٣

اللمع، تحقيق دكتور عبدالحليم محمود، دار الكتب الحديثة بمصر، ابو نصر السرّاج الطوسي، ١٩٦٠ . ص ٤١٧

يوحنا ١: ١٨

رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس اصحاح ١١ الفقرة 3 .

رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس اصحاح ١٥ الفقرة ٢٨ .

يوحنا ٨ الفقرة ١٧

يوحنا ١٧ الفقرة ٣

متي ٥ فقرة 14

يوحنا ٨ الفقرة 12

سفر الخروج ٣٣ الفقرة ٢٠

رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل تيماثاوس اصحاح 6 الفقرة ١٦

ثانياً– المراجع الأجنبية

The doctrine of the incarnation, BY ROBERT L. OTTLEY, M.A. FELLOW OF S. M. MAGDALEN COLLEGE AND PRINCIPAL OF THE PUSEY HOUSE, OXFORD, Vol. I TO THE COUNCIL OF NIC^A LONDON METHUEN & CO. NEW

YORK: MACMILLAN & CO. 1896. Page: 7.

Powell, Mark Allan (1998), Jesus as a Figure in History: How Modern Historians View the Man from Galilee, Westminster John Knox Press, ISBN 0-664-25703-8

Peter Harvey (2012). An Introduction to Buddhism: Teachings, History and Practices. Cambridge University Press. pp. 32–33, 38–39, 46–49. ISBN 978-0-521-85942-4.

Hawley ،John Stratton؛ Vasudha Narayanan (2006). The life of Hinduism. ISBN:978-0-520-24914-1. ٠٥-٠٤-٢٠٢٠.page 174. California.

Brand, Ezra. ""He appeared to him as a [X]": Talmudic Stories of Incarnations of God, Eliyahu, Satan, and Demons". www.ezrabrand.com/ Retrieved 10 January 2024.

Bultmann ،Rudolf (2005). KERYGMA AND MYTH by Rudolf Bultmann and Five Critics edited by Hans Werner Bartsch. Harper & Row. page: ٢١.